

التاريخ في سير أبطاله

ابراهيم لنكولن

هجرة الامم الى عالم الحرية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الرادي خذوا معاني العظمة في نسقها
الأعلى من سيرة هذا المعاني العظيم ...

- ٢٥ -

لم يتردد الرئيس في العمل على إبطال قرار فريمونت على الرغم مما بدا له من تحمس الرأي العام له ومظاهرتة إياه فيه على نحو ما بينا ؟ ولقد كان من أبرز خلال أبراهام أنه كان لا يعرف للتردد أو النكول إذا هو عقد النية على أمر اقتنع بصوابه وإن كان إلى نفسه ووثق من مقدرة على الاضطلاع به ؟ وما جرب عليه من عملوا معه أنه صمم قط على رأي ثم انصرف عنه ، ولذلك كانوا إذا عزم أذعنوا طوعاً أو كرهاً فما لهم من ذلك بد ...

وتصرف لنكولن تصرف السياسي الحكيم ، فكتب إلى فريمونت يسأله أن يعدل قراره وأن يظهر للناس كأنما يفعل ذلك من تلقاء نفسه ؟ ولكن فريمونت لم يذعن لذلك وكبر عليه أن يتراجع ؟ فلم ير الرئيس بداً من أن يعلن قراراً عدل به قرار فريمونت غير طاب بما كان من مخالفة الرأي العام له ولا وجل من تصايح الصالحين من دعاة التحرير ... وبذلك للعمل الحازم الحكيم قضى الرئيس على نذير من نذر الفرقة والتنايد ، وكسب بذلك وقوف ولاية كنتولي إلى جانبه ...

ولا تحسبن الرئيس كما تقول عليه خصومه ومخالفوه في الرأي من أنصاره ، قد اتخذ بذلك سبيلاً رجعية ؛ كلا ، إنما هي السياسة الحكيمة تقضى عليه ألا يتنكب الطريق التي رسمها منذ شبت الحرب ، ألا وهي جعل المحافظة على الوحدة أساس هذا الصراع القومي ؛ أما مسألة العبيد فما هو يناقل عنها وإنما هو يؤثر الأناة حتى تنهيا الفرصة ...

هذا ما كان من أمر فريمونت ؛ أما ما كيلان فلقد ظل يدرّب جيشه على حدود فرجينيا وهو لا يفتأ يرسل إلى الرئيس فرقاً جديدة ، ولا يفتأ يتبرم بأى استفهام يأتيه من قبل الرئيس

عما هو عسى أن يفعل ؛ ولقد كان هذا القائد الشاب يكره من الحكومة تدخلها في شؤونه ؛ بل لقد كان يزدي أعضاء مجلس الوزراء ويرميهم بالنباء ، أو كما يقول إنه شاهد أكبر نوع من الأوز في ذلك المجلس

وباع به الذهاب بنفسه حداً جعل الناس يظنون به الظنون حتى ليحسبونه يتطلع إلى الرئاسة ، فهو ينتظر لا يعمل عملاً حتى تواتيه الفرصة إلى انقلاب يأتي به على غرة ... ولكن الرئيس هلى الرغم من مسلك ما كيلان بعينه قائداً عاملاً للقوات بمد أن يترك سكوت العمل لكبر سنه

ولا يقف صلف ما كيلان ، فذقد ذهب الرئيس مرة إليه يستنثيه عن أمر ، فتركه القائد لحظة ينتظر قبل أن يلفاه ؛ وشاع ذلك في الناس ، وأشارت إليه الصحف ، وانمقدت الآراء على استنكاره ، ولكن الرئيس لم يعبأ بما حدث ، فما كان هو بالذي تلهيه المسائل الشخصية عما هو فيه ، ولقد رد على ذلك بقوله « إني لأمسك لما كيلان زمام جواده إذا هو جاء لنا بانتصارات » .

ولكن حدث بعد ذلك أن ذهب الرئيس ومعه كبير وزرائه إلى مكان القائد فلم يجده ، فجلسا ينتظران حتى رجع ؛ وأنبأه بعض الجند بانتظارهما إياه ؛ فصعد إلى غرفته وأرسل إليهما رسالة يأسف فيها لعدم استطاعته أن يراها لأنه متعب واستشاط سيوارد من ذلك غضباً ، ولكن الرئيس راح يهون الأمر عليه . . على أنه كف بعدها عن زيارة ذلك القائد للدل بنفسه . .

وقدر على الرئيس فضلاً عن ذلك أن يلاقى العنت من الرأي العام كما يلاقى من أكبر قواده ، ومن أمثلة ذلك ما كان من موقف الناس إزاء قرار فريمونت فلقد ألقوا يومئذ في إعنات الرئيس وإحراجة . . حتى كان موقف آخر فعادوا إلى غيهم يأخذون على الرئيس مسالك القول والعمل ، وكان ذلك الموقف نتيجة لما أدت إليه الحوادث بين حكومة الاتحاد الشمالي وبين الحكومة الانجليزية . .

كان لنكولن يخشى أن تسوء العلاقات بين حكومته وبين إنجلترا ، إذ كانت الأنباء تنذر بذلك ؛ فكثير من رجال الحكومة الانجليزية كانوا يرون أن تعترف حكومتهم بالاتحاد الجنوبي كحكومة مستقلة حتى يتسنى لإنجلترا أن تدخل سفنها الموانئ الجنوبية وعلى الأخص موانئ القطن ، دون أن يكون في ذلك

تصادم مع الحصار المضروب عليها من الشماليين .. وأخذت الصحف الإنجليزية تدعو إلى ذلك وتلح في الدعوة غير عابئة بما ينطوي عليه ذلك من التحدي لأهل الشمال .

واشتد غضب حكومة الاتحاد النسبي بقدر ما عظم فرح الجنوبيين ، إذ كان كل فريق ينظر باهتمام شديد إلى ما عساه أن يحدث من جانب إنجلترا .. وبلغ من استياء سيوارد أنه كتب احتجاجاً إلى الحكومة الإنجليزية ، لم يخفف من حدته ما أدخله عليه الرئيس من تعديل ، فلقد كان يحرض الرئيس أشد الحرص أن يفوت على الجنوبيين ما ياملونه من انضمام إنجلترا إليهم .

وفي هذا المأزق الحرج يأتي أحد القواد البحريين عملاً لزيادة في الأمور تخرجاً حتى ليسبب الناس أن الحرب واقعة بين إنجلترا والولايات المتحدة ما من ذلك بد ...

ويبان ذلك أن القائد البحري ولكس داهم سفينة إنجليزية كانت تحمل رسولين من قبل الولايات النائرة أحدهما إلى إنجلترا والآخر إلى فرنسا أبحرا ليسميا لدى الحكومتين الإنجليزية والفرنسية أن تأخذوا بيد الاتحاد الجنوبي ... وأرغم ولكس الرسولين على النزول فأسرهما على الرغم من احتجاج قائد السفينة الإنجليزية

ووصلت الأنباء إلى وشتجطون فراح الناس يملنون إعجابهم بالقائد ولكس ويشنون على عمله ، وما لبث أن أنهالت عليه رسائل الإعجاب والثناء ؛ ولقد أثني عليه فيمن أثنوا المجلس التشريعي نفسه ، وكثير من الزعماء ورجال الصحافة ؛ وهكذا أنماز الرأي العام إلى جانب ولكس كما أنماز إلى جانب فريمونت من قبل لزيادة بذلك الأمور تمقداً وخطراً ...

أما عن موقع النبأ في إنجلترا فلك أن تتصور مبلغ ما أثار من سخط واستنكار ، في ظروف كذلك التي تحدث فيها ، وكذلك كان للنبأ في فرنسا موقعه الشديد وأثره السيء

اعتبرت إنجلترا هذا العمل من جانب القائد ولكس إهانة موجهة إلى العلم البريطاني الذي كان يحقق في سارية تلك الجارية التي كانت تحمل الرسولين وقدمت لندن إلى وشتجطون احتجاجاً وأنذرتها أن تقابل للمدوان بمثله إلا أن تسرع بتقديم للترضية الكافية ، ولما تقنع إنجلترا بأقل من إطلاق الرسولين وعدم التعرض لمما تم الاعتزاز عما حدث ...

عندئذ اشتد هياج الولايات ورأت في إنذار إنجلترا إياها

معاني الاذلال وسوء النية وقبح استغلال الحوادث ؛ وأصر الناس على المقاومة مهما يكن ثمنها . وأمدت إنجلترا حامية كنده وأخذت الولايات تزيد في قوة تنورها الشمالية ، وفي الجملة لم يبق إلا إعلان الحرب . على أن بعض العقلاء استطاعوا أن يطيلوا الوقت المحدود للإنذار بضمة أيام على أهل الولايات وخصوصهم في إنجلترا يرون حلاً تحقق به انداء

وأخذ الوقت يتصرم ولكن أهل الولايات مصرون على موقفهم لا يثنيهم عنه شيء ، ورئيسهم ووزرائه يفكرون في هذا الخطر الداهم ، وكان سيوارد يميل إلى خوض غمار الحرب ضد هؤلاء الإنجليز الذين تنطوي قلوبهم على الحقد والحقد منذ خلمت الولايات الأمريكية نير إنجلترا في عزة وإماء

وهكذا يجد لنكون نفسه في شدة ما مثلها شدة ... فهو بين أن يجاري الرأي العام وبذلك يجر على البلاد حرباً خارجية ملوحة تأتي مع الحرب الداخلية القائمة في وقت واحد ، أو يطلق الرسولين ويقضي على أسباب الخلاف بينه وبين إنجلترا وبذلك يجنب بلاده خطراً محققاً ، وإن تعرض بعدها للوم اللامعين وسخط الساخطين واتهامات المبطلين ...

ولكنه لنكون الذي لا يعرف الخور والذي لا يطيش في الملذات صوابه ... إنه الرجل الذي تزداد عزيمته مضاء بقدر ما تزداد الحوادث عنفاً وخطراً ، والذي تزداد قناته صلابة كلما ازدادت الخطوب فداحة والأعباء ثقلاً واستفحالا ...

عقد أبراهام مجلس وزراءه وأخذ يناقش الأعضاء ويناقشونه وهو من أول الأمر لا يؤمن بمدالة ما فعله ولكس ؛ وبعد جهد استطاع أن يحصل المجلس على قبول رأيه ثم أعلن بعدها في شجاعة وحزم إطلاق الرسولين ، وأجاب على إنذار الحكومة الإنجليزية برسالة متينة جاءت دليلاً قوياً على حكمته وبعد نظره ، رسالة احتفظ فيها بكرامة بلاده وعزة قومه ، وجنبها بها في الوقت نفسه خطراً ما كان أغناها عنه يؤمئذ

وارتاحت إنجلترا لما فعل الرئيس وأثنى رجالها على حكمته وشجاعته ؛ ولكنه لاقى في بلاده من السخط والاستياء ما لا يقوي على مواجهته غيره ، وأوشكت مكاتته في القلوب أن تزعزع ، وراح يرتاب فيه التحمسون ويصفون عمله بالجبن والخور ... ولكنه فيما بينه وبين نفسه يمتد أنه أسدى صنيعاً إلى قومه لا يدركه إلا العقلاء ، الذين لا يجملون في كل وقت للمواطن

والتمتعة ! أليس هو بحكم مركزه القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية ؟ وإذا فعليه أن يتعلم فن الحرب اليوم كما تعلم مسح الأرض من قبل وتخطيطها وكما تعلم القانون حتى حذقه ، بل وكما تعلم القراءة والكتابة قبل ذلك جيماً وهو بين مطارح الغاية ثم الرئيس من أعدده وراح يدرس ويتعلم لا يني ولا يكل ساعات طويلة من النهار وساعات من الليل ؛ الخريطة مبسوطة أمامه ، ومملوءة من الحريين يتناوبون العمل معه واحداً بعد الآخر حتى يفهم بعض الفهم وأصبح له شيء من الرأي ! بالله من هذا المبقرى الجبار الذى يحمل على كتفيه ما كان يتوء بحمله أطلس أو آخيل ! واستطاع الرئيس بمدة أن يدل للقواد برأى في فهمه ، ولكنه كان حذراً يمرض الفكرة ويترك القطع بصحتها للقائد المرسل إليه . ولقد كتب مرة إلى أحدهم برأيه ثم شدد عليه ألا يتقيد به قائلاً إنه يلومه أ كبر اللوم إن هو تحيز له أو تردد عن العمل بما تلميه عليه خبرته إذا كان ذلك الرأى لا يتفق وهذه الخبرة ...

على أنه يكتب إلى ما كليان نفسه ذات مرة مشيراً عليه بما يجب أن يعمل ، في خطة مرسومة على أساس فنى ، ولما رد ما كليان عليه برفض تلك الخطة لم يقره الرئيس ، وعاد فكتب إليه يسأله أسئلة تدل على فهم دقيق وإلمام شامل ، ويدع له أن يجيب على تلك الأسئلة الفنية إجابة صريحة نزيهة والرئيس مستعد بعدها أن يقره .. ثم تحاكما إلى إخصائين ، فما زال الرئيس يدل لهم بحججه وبرههم أن خطته أضمن وأسلم من خطة القائد ما كليان ، ولكنهم آخر الأمر أقروا خطة ما كليان ، فلم يسع الرئيس إلا أن يذعن وإن كان لا يزال يرى وجهة آرائه ..

الخفيف

(يتبع)

قضية الفلاح

نعرضها

الآنسة ابنة الشاطيء

على الضمير الانسانى والرأى العام

يطلب الكتاب من مكتبة النهضة المصرية
١٥ شارع الدايق مصر ومن المؤلفات بمجريدة الاحرام

سلطاناً على أسلحهم قال مرة برد على الساخطين « لقد حاربنا بريطانيا العظمى مرة لأنها فعلت عين ما فعله الكابتن ولكس ؛ فاذا مارأينا المجاورة نتج على هذا الفعل وتطلب إخلاء سبيل الرسولين فواجبنا هو ألا نخرج على مبادئنا التى ترجع إلى عام ١٨١٢ يجب أن نطلق هذين السجينين وحسبنا حرباً واحدة في وقت »

ومضى السلاق بعدها في سبيله يؤدي للانسانية رسالته ؛ وإننا لنرى هذا الجبار الذى درج من بين الأحرار والأدغال يحمل العبء وحده في الواقع . . . بل إنه كما ذكرنا ليلاقى مما يفعل كثير من أكابر رجاله أعباء تضاف إلى أعبائه ولكنه يعود حل الأعباء ومواجهة الأنواء

وإنه ليسأل نفسه : ألم بأن هؤلاء الرجال أن يعملوا كما تطلب الظروف ؟ وماذا على فريمونت لو كان رجح إلى الرئيس ، ثم ماذا على ما كليان لو أنه خفض جناحه وألان جانبه وأخذ الأمور بالشورى . . ؟ ولكن ها هو ذا قائد آخر يفعل مثل ما فعل فريمونت ، وذلك هو هنتر الذى كانت له القيادة في كارولينا الجنوبية ؛ وكان هنتر أكثر جرأة من فريمونت أو على الأصح أكثر نزقاً فلقد أعلن أن سكان فرجينيا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية من المبيد أحرار بعد اليوم إلى الأبد

ولم يسع الرئيس إلا أن يجعل ينتفض هذا القرار في غير جملة أو هوادة ، فلقد كان هنتر خليقاً أن يعتبر بما كان من أمر صاحبه فريمونت وكان مما أعلنه الرئيس قوله : « إن حكومة الولايات المتحدة لم تخول للقائد هنتر ولا لآى قائد أو شخص سواء من السلطان ما يملن منه تحرير المبيد في أية ولاية من الولايات ، وإن هذا الاعلان المزعوم ، سواء كان حقيقياً أو زائفاً ، هو إعلان باطل »

ولا يكاد الرئيس ينتهى من نزق إلا ليواجه نزقاً غيره ، فها هو ذا وزير الحرية كامرون يرسل رسالة إلى بعض الضباط شبيهة بما أعلنه فريمونت وصاحبه . . ولولا أن تدارك الرئيس الأمر لأحدثت من سوء الأثر ما يصعب بعد علاجه ؛ ولقد أبقى الرئيس إلى مكاتب البريد لترد نسخ تلك الرسالة المطبوعة وحال بذلك دون وصولها إلى وجهاتها . .

ولما أن ينس الرئيس من ما كليان وقدمضى عليه أكثر من عام وهو لا يعمل أكثر من تدريب جنده ولا يتفك يطلب فرقاً جديدة ؛ رأى أن الموقف يقضى عليه أن يدرس فنون الحرب